قصة أبينا آدم في القرآن

١. خلق آدم وحواء

٢. سجود الملائكة لآدم

٣. قصة أبينا آدم لما ارتكب الخطيئة وتوبته منها ومغفرة الله له

٤. استخلاف آدم في الأرض

إعداد:

ماجد بن سليمان

يونيو ٢٠١٤

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:

فقد اهتم القرآن الكريم اهتماما بالغاً بشأن نبي الله آدم عليه السلام ، فذكر قصته من مبتدأ خلقه ، ثم تكلم عن خلق أمنا حواء في موضعين ، ثم ذكر قصة تكريم الله لآدم بالعلم ، ثم قصة تشريف الله له بأمر الملائكة للسجود له سجود تحية ، ثم ذكر قصة أبينا آدم لما ارتكب الخطيئة وأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها ، ثم ذكر قصة توبته من تلك الخطيئة وكيف أن الله تاب عليه وسامحه وعفا عنه وغفر له ذلك الذنب ومحاه فلم يعد له وجود.

ثم تكلم القرآن عن قصة استخلاف آدم في الأرض ، بعمارة بَنِيه لها جيلا بعد جيل إلى يوم القيامة.

وقد أكَّد القرآن الكريم في كل هذه المراحل على أن الهدف من خلق آدم وبنيه هو عبادته وحده لا شريك له ، وأن ذلك لا يكون إلا باتباع الشرائع التي بأيدي الأنبياء الذين يرسلهم الله على مر القرون ، بدءا من النبي آدم إلى خاتمهم وهو محمد ، عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.

وقد سلك الإسلام في الاعتقاد بآدم مسلكا وسطا ، فالشيطان (إبليس) احتقر آدم ، ورفض احترامه وتكريمه بالسجود له كما أمره ربنا ، وكان السبب في هذا أمران؛ **الأول**: التكبر ، فقد رفض أمر الله له بالسجود له لكونه خُلِقَ من نار ، وآدم مخلوق من طين ، وهو يرى أن النار أفضل في مادتها من الطين ، والحق أن كليهما مخلوقان لله ، واختلاف الخلقة لا يوجب التكبر عن عبادة الله ورفض أوامره.

الثاني: الحسد ، فقد حسد الشيطان أبانا آدم أن تبوأ هذه المكانة ، وهي سجود الملائكة والجن له سجود احترام وتحية وتشريف.

وقد كان الواجب عليه هو طاعة أمر الله له ، وعدم الاعتراض عليه ، لأن الله حكيم ، يضع الأشياء مواضعها ، ويريد بعباده الخير والفلاح.

وعلى الجانب الآخر ، فالنصارى[1] سلكوا مع آدم مسلكا شططا ، فاعتقدوا أن خطيئته لما أكل من الشجرة انتقلت إلى بنيه على مر القرون والعصور ، بالرغم من أنهم لا ذنب لهم ، ويعتقدون أن المسيح عيسى ابن مريم رَضِي بصلبه على الصليب وقتله ليفتدي خطايا من آمن به كمُخَلِّص لهم من تلك الخطيئة ، وأنَّ من لم يؤمن به كمُخَلِّص فإن الخطيئة ستكون لصيقة به ، وأنه سيلقى الله يوم القيامة بها ، وستكون عاقبته الدخول في النار بحسب اعتقادهم.

ولا شك أن هذا الاعتقاد غير صحيح ، لأنه غير موافق لا للعقل ولا للإنجيل الذي كان بيد عيسى ، ولا لدين عيسى ابن مريم الأصلي ، وسيأتي بيان ذلك في ثنايا الكتاب ، وسيأتي بيان أن أصل هذا الاعتقاد هو التحريف الذي زرعه اليهود وقساوسة النصارى في دين النصارى على مدى عشرين قرنا ، وأن الحق الذي لا مِرية فيه أن أبانا آدم ندم على خطيئته وطلب من الله المغفرة فغفر الله له وانتهى الموضوع ، فلم يُورِّث آدم خطيئة أصلا لأن الله محاها عنه في ذلك الحين.

أما المسيح عيسى ابن مريم فإنه لم يمت ولم يُصلب ليفتدي خطايا الناس ، بل حماه الله من كيد اليهود لما أرادوا قتله ، فرفعه إلى السماء في معجزة إلهية ليس لها نظير ، وقتل اليهود رجلا خبيثا يُشبهه ظنوه هو عيسى ابن مريم ، وصلبوه وبصقوا في وجهه ، فنجى الله نبيه عيسى ، وحاشاه أن يصيبه شيء من أذى اليهود.

وقد بين القرآن حقيقة هذا الأمر ، وكان هذا بعد رسالة عيسى بنحو ستة قرون ، فإن الله رحيم بعباده ، لم يتركهم يسيرون مضطربين بلا هداية ولا إرشاد ، فأرسل إليهم محمدا ، وأنزل عليه القرآن ، وتكفل بحفظه من التحريف والتبديل ، وبين حقيقة آدم عليه السلام ، وحقيقة عيسى ابن مريم عليه السلام ، فلم يدع شبهة إلا أزالها ، ولا حقيقة إلا أبانها ، فالحمد لله على نعمة القرآن.

---

[1] النصارى هم المعروفون الآن بالمسيحيين ، وهم أتباع المسيح عيسى ابن مريم ، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارى» هو تناصرهم فيما بينهم.

وقيل إنهم سُمُّوا بذلك تبعا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك ، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله﴾.

وقيل إنهم سُمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصرة» بفلسطين.

وقيل إنهم سُمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.

وعلى كل حال فكلمة «نصارى» أصلها من النصرة ، وهي صفة مدح وثناء.

والذي دعاني لإعداد هذا البحث هو إطلاع أتباع الأديان الأخرى على عقيدة المسلمين في آدم عليه السلام ، ومسألة الخطيئة على وجه الخصوص ، حيث أني وجدت من خلال بعض مناقشاتي مع بعض النصارى (المسيحيين) أنهم يفهمون مسألة الخطيئة فهما لا يوافق العقل ، ولا يوافق عقائد الأنبياء كلها ، ولا يوافق صفات الله سبحانه وتعالى لاسيما صفة العدل والرحمة ، فضلا عن كون هذا الاعتقاد يلزم منه أن جميع من ماتوا قبل المسيح ابن مريم أنهم لا كفارة لهم ، وأن مصيرهم النار كلهم ، وهذا من معاندة العقل البشري ، ومن الظلم الذي يتنزَّه الله الرحيم عنه.

ومن اللطائف أني أطّلعتُ إحدى الباحثات على حقيقه اعتقاد المسلمين في آدم عليه السلام ، وما ذكره الله في القرآن من قصته في مواطن عديدة من القرآن ، فانبهرت بذلك ، وكأن عقدة نفسية زالت من نفسها.

وبعد:

فهذا البحث يسلط الضوء على أخبار أول الأنبياء وهو أبونا آدم كما وردت في القرآن الكريم وفي أحاديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)[1] ، وهو يدور على المواضيع التالية:

[1] معنى الصلاة على النبي محمد هو ثناء الله عليه في الملإ الأعلى وهم الملائكة ، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه ، وهو يستحق ذلك ، لأن الله هدى الناس به إلى الدين الصحيح.

ومعنى (وسلَّم) هذا دعاء أيضا أن يُسَلِّمه الله من الآفات ، مثل الطعن فيه أو في زوجاته ونحو ذلك.

فيكون المعنى الإجمالي لجملة (صلى الله عليه وسلم) أي: اللهم اثنِ على نبيك محمد وسَلِّمه من الآفات.

وهذه الجملة جملة توقير واحترام ، ويجب على المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد ، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له ، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.

كما يستحب ذكر هذا الدعاء عند ذكر باقي الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام.

١. خَـلْـقُ آدم

٢. اصطفاء الله لآدم

٣. خَـلْـقُ حواء

٤. تكريم الله لجميع بني آدم وحواء ، وهم جميع البشر

٥. الغاية من خلق الإنس والجن

٦. الغاية من إرسال الرسل

٧. مفهوم العبادة في الإسلام

٨. أمَـرَ الله الملائكة بالسجود لأبينا آدم تحية له ، وتكبَّرَ إبليس عن الاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى

٩. خلاصة الكلام في التعريف بالشيطان (إبليس)

١٠. استخلاف آدم في الأرض

١١. تعليم الله لآدم الأسماء كلها

١٢. قصة آدم لما أكل من الشجرة التي حرَّم الله عليه الأكل منها

١٣. من أعظم فوائد قصة أبينا آدم: التحذير من اتباع الشيطان

١٤. من أعظم فوائد قصة أبينا آدم لما أكل من الشجرة: بيان بطلان عقيدة توارث الذنب الأصلي التي يعتقدها النصارى ، ولنا معها ثمانية عشر وقفة

وبعد ، فلا يفوتني التنبيه بأني نقلت شرح الآيات التي نقلتها من كتب التفسير المشهورة لاسيما كتاب «التفسير الميسر» وتفسير الشيخ عبد الرحمٰن السعدي المعروف بـ «تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمٰن».

وفق الله الجميع للعلم النافع والاعتقاد الصالح ، وجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

اللهم رب جبرائيل وميكائل وإسرافيل[٣] ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

ماجد بن سليمان ، في تاريخ ٢ شعبان من عام ١٤٣٥ هجري ، الموافق ٣١ مايو لعام ٢٠١٤ ميلادي.

[٣] جبرائيل هو أعظم الملائكة ، وهو الملك الموكل بالوحي إلى الرسل ، ميكائيل هو المَلَك الموكل بالمطر ، إسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ في الصور ليقوم الناس يوم القيامة للحساب والجزاء. فاطر السماوات والأرض أي خالقها.

توضيح مصطلحات متكررة في الكتاب

- **مصطلح «صلى الله عليه وسلم»**

كما تقدم في أول المقدمة ، فإن معنى الصلاة على النبي محمد هو ثناء الله عليه في الملإ الأعلى وهم الملائكة ، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه ، وهو يستحق ذلك ، لأن الله هدى الناس به إلى الدين الصحيح.
ومعنى (وسلَّم) هذا دعاء أيضا أن يُسَلِّمه الله من الآفات ، مثل الطعن فيه أو في زوجاته ونحو ذلك.
فيكون المعنى الإجمالي لجملة (صلى الله عليه وسلم) أي: اللهم اثنِ على نبيك محمد وسَلِّمه من الآفات.
وهذه الجملة جملة توقير واحترام ، ويجب على المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد ، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له ، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.
كما يستحب ذكر هذا الدعاء عند ذكر باقي الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام.

- **مصطلح « عليه السلام»**

إذا قيل في حق نبي (**عليه السلام**) فهذا دعاء له بالسلامة والعافية في عرضه وشرفه حتى بعد موته.

- **مصطلح «النَّصارى»**

تقدم الكلام أن النصارى هم المعروفون الآن بالمسيحيين ، وهم أتباع المسيح عيسى ابن مريم ، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارى» هو تناصرهم فيما بينهم.
وقيل إنهم سُمُّوا بذلك تبعا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك ، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله﴾.
وقيل إنهم سُمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصرة» بفلسطين.
وقيل إنهم سُمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.
وعلى كل حال فكلمة «نصارى» أصلها من النصرة ، وهي صفة مدح وثناء.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

١. خَـلْـقُ آدم

قال الله تعالى في القرآن العظيم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ **بَشَرًا** مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[١].

تفسير الآية:

أي: ولقد خلقنا آدم مِن صلصال، وهو طين يابس إذا نُقِر عليه سُـمِع له صوتٌ وصلصلةٌ كصوت الفخار إذا نُقِر، كما قال الله في آية أخرى ﴿خَلَقَ **الْإِنسَانَ** مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[٢].
وهذا الطين اليابس هو من حَمَإٍ مَسنون، وهو الطين الأسود الأملس، الذي تغيّر لونه وريحه مِن طول مكثه.

وقد جاء إجمال خلق آدم من طين في آية أخرى، وهي قول الله تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ **بَشَرًا** مِّن طِينٍ﴾[٣].

كما جاء ذكر خَلْق أبينا آدم من تراب، قال الله تعالى في القرآن العظيم ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ **آدَمَ** خَلَقَهُ مِن **تُرَابٍ** ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٤].

وتفسير الآية: إنَّ خَلْقَ الله لعيسى من غير أب كمثل خلقِ الله لآدم من غير أب ولا أم، إذْ خلق الله آدم من تراب الأرض ثم قال له: "كن بشرًا" فكان آدم.

فهذه أربع آيات في القرآن الكريم تحدثت عن خلق أبينا آدم عليه السلام.

---

[١] سورة الحِـجْـر: ٢٨ .

[٢] سورة الرحمٰن : ١٤ .

[٣] سورة ص: ٧١ .

[٤] سورة آل عمران: ٥٩ .

تنبيه حول معنى قول الله تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُون﴾[1]

يتبين من هذه الآية أن دعوى إلٰهية عيسى لكونه خُـلِق من غير أبٍ دعوى باطلة، فآدم عليه السلام خُـلِق من غير أب ولا أم، ولم يقُل أحدٌ بأنه إله، ليس هذا فحسب، بل ونفخ الله فيه من روحه، وأسجد له ملائكته سجود تحية، وعلمه أسماء كل شيء، ومع هذا فاتفق الجميع (المسلمون والنصارى واليهود وجميع أتباع الأديان السماوية) على أنه عَبْدٌ من عباد الله، ليس فيه من خصائص الألوهية ولا الربوبية شيء، فإنْ صحَّ ادِّعاء البنوة والإلٰهية في المسيح لكونه خُلِق من غير أبٍ فادعاؤها في آدم من باب أولى وأحرى، فإنه من غير أبٍ ولا أم، ومعلوم بالاتفاق أن أحدًا لم يدَّعِ هذه الدعوى، فبناء عليه فإن دعوى الإلٰهية في المسيح باطلة أيضا.

٢. اصطفاء الله لآدم

قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى **آدَمَ** وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِين﴾[2].

تفسير الآية: أي إن الله اختار آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عِمران، وجعلهم أفضل أهل زمانهم.

٣. خَـلْـقُ حواء

قال الله سبحانه وتعالى في القرآن بخصوص خلق حواء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ **وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[3].

وقال تعالى: ﴿هوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[4].

تفسير الآيتين:

النفس الواحدة هي آدم، وخلق من هذه النفس زوجَها وهي حواء، فإنّها خُلِقت من آدم، من ضِلْـعِه، كما يدل عليه ظاهر الآية في قوله ﴿وخلق منها﴾، وقوله في الآية الثانية ﴿وجعل مِنْهَا﴾، وهذا القول هو قول جمهور المفسرين للقرآن الكريم.

وقوله ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ أي: ليأنس بها ويطمئن.

---

[1] سورة آل عمران: ٥٩ .

[2] سورة آل عمران: ٣٢ .

[3] سورة النساء: ١ .

[4] سورة الأعراف: ١٨٩ .

فبهذا يتبين أن أُمَّنا حواء خُلِقت من أبينا آدم، من ضِلْعِه، والله يخلق ما يشاء كما يشاء سبحانه وتعالى، فهو القادر على كل شيء، لا يُعجِزُهُ شيء، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

لفتة لطيفة:

خَلَق الله آدم من تراب، لا من ذكر ولا من أنثى، (أي بلا أب ولا أم).

وخَلق حواء من ذكر بلا أنثى، (أي من ذَكَر وهو آدم، خلقها الله من ضِلعِهِ).

وخَلق عيسى من أنثى بلا ذكر، (أي خلقه من أنثى وهي مريم العذراء، بلا أب).

وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى (وهم جميع البشر).

فسبحان من بهر بقدرته العقول.

٤. تكريم الله لجميع بني آدم وحواء، وهم جميع البشر

بَنِي آدم وحواء هم جميع الناس، لأن جميع الناس توالدوا منهما، والقرآن يُقرِّر أن جميع البشر مُكَرَّمين، غير مُهانين مثل البهائم والجمادات، ومن دلائل تكريمهم أن الله سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ **كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ على كَثِيرٍ مِمَّن خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾[1].

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، كما قال تعالى في سورة التِّين ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾، أي إن الله جعله في أحسنِ خِلقةٍ خلقها، فجعل له سمعا يسمع به، وبصرا يُبصِر به، وعقلا يَفقهُ به وينتفع، ويُفرق به بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارِّها.

كما خلق الله له رجلين ليمشي قائما منتصبا عليهما، ويدين ليتناول بهما ويعطي ويعمل ويأكل ويعمر هذه الأرض، في حين أن غيره من الحيوانات أقل من الإنسان في تقويمها، لاسيما نعمة العقل.

كما كرَّم الله ذرية آدم بإرسال الرسل منهم، وسَخَّر لهم جميع ما في الكون، وسَخَّر لهم الدواب في البر كالإبل والخيول والبغال والحمير، وسخر لهم الحديد، ليصنعوا منها المراكب البَرِّية المعروفة الآن، كالسيارات والطائرات، وسخَّر لهم السفن في البحر لحملهم، ورزقهم من طيبات المطاعم والمشارب، وفضَّلهم على كثير من المخلوقات تفضيلا عظيمًا.

[1] سورة الإسراء: ٧٠ .

فإذا كانت هذه بعض نِعم الله على عباده، أفلا يستحق أن يُشكر عليها بإفراده بجميع أنواع العبادات، واجتناب عبادة غيره من المخلوقات، سواء كانت جمادات أو غيرها؟

٥. الغاية من خلق الإنس والجن

خلق الله سبحانه وتعالى الخلق – الجن والإنس – لحكمة عظيمة وغاية جليلة، وهي عبادته سبحانه وتعالى، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، وقال تعالى ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملِك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾، وقال تعالى ﴿أيحسب الإنسان أن يُترك سدى﴾، أي: أَحسِب الإنسان أن يُترك هملا، لا يُؤمر ولا يُنهى، ولا يُحاسب ولا يُعاقب؟

٦. الغاية من إرسال الرسل

أَرسل الله الرسل لـيُبَلِّغوا الناس هذه الرسالة (عبادة الله وحده)، لأن الرسل وسائط بين الله وبين خلقه، قال الله تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾، فالرسل يبلغون الناس هذه الرسالة، ويعلّمونهم أيضا تفاصيل الشريعة (القانون) التي أوحاها الله لذلك النبي، وهي تدور على ستة مواضيع:

أولا: أحقية الله وحده بالعبادة، فجميع الرسل دعوا إلى شيء واحد وهو عبادة الله وحده وترك عبادة من سواه، سواء كانوا أصنام أو أشخاص أو أنبياء أو أحجار أو غيرها.

فدين الأنبياء واحد بهذا الاعتبار، وهو عبادة الله وحده.

ثانيا: العقيدة: وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالـقَـدَر خيره وشره.

ثالثا: كيفية العبادات، فيعلمونهم كيفية الصلاة، وكيفية الصيام وغير ذلك من العبادات.

رابعا: ومما جاء في تلك الشرائع الأمر بمحاسن الأخلاق والنهي عن قبيحها، فتأمر مثلا ببر الوالدين وصلة الأرحام وإكرام الضيف والعطف على الفقراء والمساكين والقول الحسن وحسن الجوار والعدلِ والقِسطِ وغير ذلك، كما أنها تنهى عن القبائح، كالظلم والعدوان وعقوق الوالدين وانتهاك الأعراض والكلام البذيء والكذب والسَّرقة وغير ذلك.

خامسا: والشرائع السماوية تأمر بحفظ الضروريات الخمس، وهي الدين والعقل والمال والعِرض والنفس.

سادسا: تذكير الناس بيوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة، وفي ذلك اليوم يُبعث الناس من قبورهم، فيُحاسبون على أعمالهم، فمن كان متّبعاً للنبي الذي أرسله الله إليه كان من أهل الجنة، ومن كان عاصياً له كان من أهل النار، قال الله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُون * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُون﴾.

٧. مفهوم العبادة في الإسلام

العبادة هي التذلل لله عز وجل محبة وتعظيما، بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه، كما قال تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾، أي: ما أُمِر الناس في سائر الشـرائع إلا ليعبدوا الله وحده، ويكونوا حنفاء، أي مائلين عن الإشراك مع الله في العبادة إلى التوحيد والإخلاص لله في سائر العبادات، ويقيموا الصلاة، ويؤدوا الزكاة لمستحقيها من الفقراء والمساكين ونحوهم، وذلك دين القيِّمة، أي دين الاستقامة، وهو الإسلام.

والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك.

٨. أمَرَ الله الملائكة بالسجود لأبينا آدم تحية له، ولكن إبليس تكـبَّرَ عن الاستجابة لأمر الله

ذكر الله سبحانه وتعالى قصة سجود الملائكة لأبينا آدم عليه السلام في عدة مواضع من القرآن الكريم، تنبيها لأهميتها، وليكون في هذا التكرار تشويقا وإعجازا بسرد نفس القصة بأسلوب بلاغي مختلف.
قال الله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[١].

وقال الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُون * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِين * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين * قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون * قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين * قال ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال ربِّ بما أغويتني لأزيِّـنَنَّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال هذا صراط علي مستقيم * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين * وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾[٢].

وقال الله تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِين * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِين * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِين * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإنك عليك لعنتي إلى يوم الدين * قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من

---

[١] سورة البقرة: ٣٤ .

[٢] سورة الحِجر: ٢٨ – ٤٤ .

المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال فالحقُّ والحقَّ أقول * لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾[1].

شرح الآيات:

اختص الله سبحانه وتعالى أبانا آدم بأربع خصائص لم تحصل لأحد قبله، فقد خلقه الله بيديه، ونفخ فيه من روحه، وعلَّمه أسماء كل شيء، ثم أمر الملائكة بالسجود له، تحية له وإكراما، وليس من باب العبادة له، فبادر الملائكة بالسجود لآدم ممتثلين لأمر ربهم، إلا إبليس امتنع عن السجود تكبرًا وحسدًا، فقال كما أخبر الله عنه في آية أخرى ﴿ءأسجد لمن خلقت طينا﴾، وفي آية أخرى ﴿لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون﴾، أي لا يليق بي أن أسجد لبشر خلقته من طين، لكونِه من الجن، والجن مخلوقون من نار، وهو يرى أن النار أشرف من الطين[2]، لعُلُوِّها وصُعودها وخِفَّتِها، فلهذا امتنع عن السجود، وخاصم ربه وعصاه، فاغتر بأصله الذي خُلِق منه، فعاد عليه غروره بالوبال، فطرده الله من رحمته، وسماه "إبليس" إعلاما له بأنه قد أبْلَس من الرحمة، أي: أَيِسَ منها.

---

[1] سورة ص: ٧١ – ٨٥ .

[2] قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله:

وهذا القياس من أفسد الأقيسة، فإنه باطل من عدة أوجه:

منها: أنه في مقابلة أمر اللّه له بالسجود، والقياس إذا عارض النص، فإنه قياس باطل، لأن المقصود بالقياس أن يكون الحكم الذي لم يأت فيه نص يقارب الأمور المنصوص عليها ويكون تابعا لها، فأما قياسٌ يعارضها، ويلزم من اعتباره إلغاءُ النصوص؛ فهذا القياس من أشنع الأقيسة.

ومنها: أن قوله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ بمجردها كافية لنقص إبليس الخبيث، فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه وتكبره، والقول على اللّه بلا علم. وأي نقص أعظم من هذا؟

ومنها: أنه كذب في تفضيل مادة النار على مادة الطين والتراب، فإن مادة الطين فيها الخشوع والسكون والرزانة، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار وأنواع النبات على اختلاف أجناسه وأنواعه، وأما النار ففيها الخفة والطيش والإحراق.

ولهذا لما جرى من إبليس ما جرى، انحط من مرتبته العالية إلى أسفل السافلين. انتهى.

زاد القرطبي رحمه الله فقال في مادة الطين: وذلك هو الداعي لآدم عليه السلام بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع، فأورثه المغفرة والهداية.

ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع والاضطراب، وذلك هو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار، فأورثه الهلاك والعذاب واللعنة والشقاء.

كما ذكر القرطبي في تفسير نفس الآية سببين آخرين لتفضيل الطين على النار فقال ما ملخصه أن النار سبب العذاب، وهي عذاب الله لأعدائه، وليس التراب سببا للعذاب.

كذلك فإن الطين مستغنٍ عن النار، في حين أن النار محتاجة إلى المكان، ومكانها التراب. انتهى الغرض منه.

انظر كلامهما رحمه الله في تفسيريهما لسورة الأعراف: ١٢ .

وإبليس – وإن لم يكن من الملائكة – فإنه دخل في خطابهم لما خاطبهم الله وأمرهم بالسجود، لأنه تشبه بهم في أول أمره وتعبد وتنسك، فلهذا دخل في خطابهم، ثم لما عصى الله وخالف أمره خرج عنهم.[1]

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾.[2]

ومن باب الفائدة فإن جميع الجن مخلوقون من نار، فعن عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم)، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال:

خُلِقت الملائكة من نور، وخُلِق الجان من مارجٍ من نار، وخُلِق آدم مما وُصِف لكم.[3]

ومعنى (مارج من نار)، أي من لهب النار المختلط بعضه ببعض.

ثم توعد الله إبليس ومن تبِعه من الإنس والجن فقال ﴿هذا صراط عليَّ مستقيم﴾، أي أن مرجعكم كلُّكم إلي، فأجازيكم بأعمالكم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فأُجازي كلا بأعمالهم.

ثم قال ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾، أي ليس لك يا إبليس على عبادي المخلِصين سبيل، أما الغاوين الضالين فلك عليهم سلطان وطريق.

ثم توعد الله إبليس ومن تبعه من الناس بجهنم، فقال ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾، أي: قد كُتِب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلون جهنم من ذلك الباب، لا محيد لهم عنه – أجارنا الله منها –، وكل باب يدخل منه ناس بحسب عملهم، فبعض الأبواب تؤدي إلى منازل أحرُّ من غيرها، فيستقر في دَرَكِها بقدر عمله الخبيث، وهذا من عدل الله سبحانه وتعالى.

تنبيه

مما ينبغي التنبه إليه هو أن هذا السجود الذي أمر الله به الملائكة ليس سجود عبادة، بحيث أنه يُقصد به التذلل والخضوع والعبادة لآدم، بل هو سجود تحية، وهو مثل سجود والد ووالدة النبي يوسف ليوسف لما جاءوا إليه في مصر، قال الله في القرآن ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا﴾، أي: وأجْلَسَ أباه وأمه على عرشه وهو سرير ملكه، أجلسهما بجانبه إكرامًا لهما، وحيَّاه أبواه وإخوته الأحد عشر **بالسجود له تحية وتكريمًا، لا عبادة وخضوعًا**، وكان ذلك جائزًا في شريعتهم، وقد حُرِّم في شريعة الإسلام، وصار نوعا من العبادات، كالدعاء والصلاة

---

[1] قاله ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية الكريمة.

[2] سورة الكهف: ٥٠ .

[3] رواه مسلم (٢٩٩٦).

والصيام ونحوها، ومن المعلوم أن العبادات كلها لا يجوز صرفها إلا لله تعالى، وبناء عليه فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد مطلقا لا سجود تحية ولا سجود عبادة.

والله سبحانه وتعالى له الحق في تحريم ذلك، له الحق في تشريع ما شاء من الشرائع ومحو ما شاء، لأنه هو الخالق الآمر المتصرف، فكما أنه لا يخلق غيره فكذلك لا يأمر غيره، قال الله تعالى ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾، أي: يمحو الله ما يشاء من الأحكام ويُبقي ما يشاء منها، لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى فيما يَصلح لِكل أناس من الشرائع وما يناسبهم.

***

كما وردت قصة سجود الملائكة لآدم في سورة الأعراف، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين * قال أنظِرني إلى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين * قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.[1]

هذه الآيات تتحدث أيضا عن قصة أمر الله للملائكة بالسجود لآدم سجود تحية واحترام، فسجدوا إلا إبليس امتنع عن ذلك تكبرا وحسدا، وقال: أأسجد لهذا الضعيف المخلوق من طين؟

ثم قال الله لإبليس: اهبط من الجنة، أي اخرج منها، فإنك لا تستحق العيش فيها، لأن الجنة طاهرة طيبة، ولا يدخلها ويعيش فيها إلا نفس طيبة، والكبر والحسد لا تتصف به إلا نفس خبيثة، فاخرج من الجنة، فما يصح لك أن تتكبر فيها، إنك من الصاغرين، أي الذليلين الحقيرين.

وفي آية أخرى ﴿فاخرج منها فإنك رجيم﴾، أي مرجوم، وهو المطرود المُبعد من رحمة الله.

فعندها قال إبليس لله جل وعلا حينما يئس من رحمة الله: ﴿أنظِرني إلى يوم يبعثون﴾، أي أمهلني إلى يوم البعث، فطلب ألا يموت، بل يبقى إلى آخر هذه الدنيا ليتمكن من إغواء مَن يقدر على إغوائه من بني آدم.

فعندها قال الله تعالى له: إنك ممن كَتبتُ عليهم تأخير الأجل إلى يوم القيامة، فمن تبعك من بني آدم فسيكون مآله هو مآلك.

[1] سورة الأعراف: ١١ – ١٨ .

وسبب إمهال الله لإبليس إلى نهاية الدنيا أن حكمة اللّه تقتضي ابتلاء العباد واختبارهم ليتبين الصادق من الكاذب ومن يطيع الله ومن يطيع عدوه إبليس، فلهذا أجاب الله سؤال إبليس فقال ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِين﴾.

فعندها قال إبليس لعنه الله: فبسبب أنك أغويتني، أي أهلكتني بأن جعلت عاقبتي النار لا محالة، لأجتهدنَّ في إغواء بني آدم عن طريقك القويم، ولأقعُدنَّ على الصراط الذي أمرتهم بلزومه، وهو الدين الصحيح، وسأسعى غاية جُهدي في صد الناس عنه وعدم سلوكهم إياه، وسأصُدهم عن عبادة الله وحده التي فطرتَهُم عليها، وأُزيِّن لهم عبادة المخلوقات، سواء كانوا جمادات كالأصنام، أو عبادة بشر كالمسيح عيسى وأمه مريم، أو عبادة الصور والتماثيل المنحوتة، ثم لآتينَّهم من جميع الجهات والجوانب، فأصُدَّهم عن الحق، وأُحسِّن لهم الباطل، وأُرغِّبهم في الدنيا، وأُشكِّكهم في الآخرة، وأُحبب إليهم المعاصي وأُرغِّبهم فيها، ولا تجد أكثر بني آدم شاكرين لك على أنعامك.

فعندها قال الله تعالى لإبليس: اخرج من الجنة مذءوما، أي مذموما، مدحورا، أي مُبعدا مطرودا عن رحمة الله، فطرده مرة أخرى، ثم قال: لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك من بني آدم أجمعين.

وإنما نبَّهَنا اللّه على ما قاله الشيطان وعزَم على فعله لنأخذ منه حذرنا ونحترز منه، فلله تعالى علينا بذلك أكمل نعمة.

***

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هذا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلا * قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا﴾[1].

شرح الآيات:

هذه آيات أخرى تتحدث عن نفس القصة، ومعانيها قريبة من سابقتها، وفيها قول إبليس: أرأيت هذا المخلوق الذي ميزته عليَّ — يعني آدم – لئن أبقيتني حيًّا إلى يوم القيامة لَأَحْتَنِكَنَّ، أي لأستولِيَنَّ ولأستأصِلَنَّ ذريته بالإغواء والإفساد، إلا القليل منهم، وهم المخلصون في الإيمان، جعلنا الله منهم.

فعندها قال الله مهددًا إبليس وأتباعه: اذهب، فمَن تبعك مِن ذرية آدم فأطاعك فإن عقابك وعقابهم وافرٌ في نار جهنم غير منقوص.

[1] سورة الإسراء: ٦١ — ٦٥ .

ثم قال الله ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾، أي استَخْفِف كلَّ مَن تستطيع استخفافه منهم بدعوتك إياه إلى معصيتي، ﴿وأَجْـلِـب عليهم بخيلك ورجِلِك﴾، أي وأَجْمِع عليهم بكل ما تقدر عليه مِن جنودك من شياطين الإنس والجن، من كل راكبٍ وراجِلٍ، وهو الماشي على رجليه، والمقصود كل راكبٍ وماشٍ في معصية الله، ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ أي واجعل لنفسك شِرْكةً معهم في أموالهم، بأن تُزيِّن لهم اكتساب المال الحرام، كالربا والرشوة والسرقة.

أما المشاركة في الأولاد فشاملٌ لكل معصية تعلقت بأولادهم، كتزيين فعل فاحشة الزنا لينتج أولاد زنا، أو عدم تأديب الأولاد وتربيتهم على فعل الخير وترك الشر، أو عدم ذكر الدعاء المشروع قبل أن يحصل جماع الزوجة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله — أي يجامع زوجته – قال: (بِسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا)، فإنه إن يُقدَّر بينهما ولد في ذلك لم يَضُره شيطان أبدا[1]

وقد ذكر كثير من المفسرين أنه ترك التسمية (وهي قول بسم الله، ومعناها: اَبتدِأ بذكر اسم الله) عند الطعام والشراب والجِماع تدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد، وأنه إذا لم يُسَمِّ الله في ذلك شاركه الشيطان طعامه.

ثم قال الله ﴿وعِدْهم وما يَعِدُهم الشيطان إلا غرورا﴾، أي عِدْ أتباعك مِن ذرية آدم بالوعود الكاذبة، كوعدِهم أنَّ ارتكاب المعاصي لن يَضرهم، وأنه لا قيامة ولا حساب، وأنه إن كان حسابٌ وجنةٌ ونارٌ فأنتم أولى بالجَنَّةِ من غيركم، فكل وعود الشيطان باطلة وغرور.

ثم قال الله ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا﴾، أي ليس لك أيها الشيطان سبيل تَسلُّطٍ وإغواء على عبادي المؤمنين الذين قاموا بعبوديته، بل الله يدفع عنهم إغواءك وشرورك ويقوم بكفايتهم منك، ويكون لهم حافظا وناصرا ومؤيدا.

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ أي أن الله سيتوكل بحفظ عباده المؤمنين، وكفى به وكيلا سبحانه وتعالى، فهو خير وكيل وحافظ.

[1] رواه البخاري (٦٣٨٨) ومسلم (١٤٣٤) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

٩. خلاصة الكلام في التعريف بالشيطان (إبليس)

إبليس من الجن، قال الله في القرآن ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر به﴾، والجن مخلوق من نار، كما قال الله في القرآن ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السَّموم﴾[١].
أي: وخلقنا الجن مِن قَبْلِ خلق آدم من نار شديدة الحرارة لا دخان لها، كما قال الله في الآية الأخرى ﴿وخلق الجان من مارجٍ من نار﴾[٢]، أي خلقنا الجن – وإبليس منهم – من لهب النار المختلط بعضه ببعض.

وإبليس كان عابدا لله، أمره الله بعبادته وطاعته، فكان كذلك مدة لا يعلمها إلا الله، ثم لما خلق الله آدم أمره الله وأمر الملائكة أيضا بالسجود له سجود تحية، إكراما له وإظهارا لفضله، سجدت الملائكة كلهم إلا إبليس أبى واستكبر، وكان دافع ذلك هو الحسد والكِبر لآدم، قال الله في القرآن العظيم ﴿ما منعك أن تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾، فصار إبليس من الجاحدين لأمر الله، الكافرين به، قال الله في القرآن ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس **أبى واستكبر** وكان من **الكافرين**﴾.

فالشيطان كافر، والكُفر هو جحد الحق ورده، قال الله تعالى عن الشيطان: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ **كَفُورًا**﴾[٣]، وقال الله تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾[٤].

ثم لما كفر إبليس وردَّ أمر الله طرده الله من جنته، قال الله في القرآن ﴿اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾، أي اخرج من الجنة ممقوتا مطرودا.

ثم اتخذ إبليس عهدا على نفسه أن يُغوي بني آدم، إلا من كان منهم معتصما بالدين الصحيح الذي شرعه الله، فإنه لا يستطيع إليه سبيلا، ﴿قال فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾.

وأول مظاهر عداوة الشيطان للإنسان لإيقاعه في معصية الله هو إغواءه لأبينا آدم وزوجته حواء للأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها كما سيأتي في الفصل التالي.

---

[١] سورة الحجر: ٢٨ .

[٢] سورة الرحمٰن: ١٥ .

[٣] سورة الإسراء: ٢٧ .

[٤] سورة مريم: ٤٤ .

وكلمة (إبليس) مشتقة من الإبلاس وهو الإياس أو اليأس، أي الإياس من رحمة الله سبحانه وتعالى.

١٠.استخلاف الله لآدم وذريته في الأرض

جاء الخبر في القرآن الكريم بأن الله سبحانه وتعالى قال للملائكة أنه سيجعل في الأرض خليفة، أي قومٌ يخلف بعضهم بعضا لعمارة الأرض، ولم يكن يومئذ على وجه الأرض أحد، ولم يذكر الله للملائكة أنه آدم، قال الله في القرآن العظيم ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾.[١]

فلما قال الله للملائكة ذلك أرادت الملائكة معرفة الحكمة منه فقالوا: يا ربنا، ما الحكمة في خلق هؤلاء، مع أن منهم من سيُفسد في الأرض ويَسفك الدماء بالقتل؟

والملائكة سألوا هذا السؤال لعلمهم أن الجن كانوا في الأرض قبل أن يخلق الله آدم، فأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، فبعث الله جندا من الملائكة فضربوهم، حتى ألحقوهم بالجُزُر التي في البحار، فلهذا لما قال الله للملائكة : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما فعل الجن قبلهم؟ فإن كان المراد عبادتك يا ربنا، فنحن نسبح بحمدك ونصلي لك.

فقال الله تعالى مجيبا لهم عن سؤالهم: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق آدم وجعلِه في الأرض ما لا تعلمون أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأُرسل فيهم الرسل، وسيوجد فيهم الصِّديقون والشهداء، والصالحون والعباد، والزهاد والأولياء، والأبرار والمقربون، والعلماء العاملون والخاشعون، والمحبون المتبعون لرسلي.

وفي هذه الآية الكريمة بيان أن الله لم يمنع السؤال، بل إن باب السؤال مفتوح لمن أراد أن يعلم الحكمة من الأوامر والنواهي الإلٰهية، ليعظُم إيمان الناس بما علِموه، ويَعظُم إيمانهم بصفة الحكمة لله سبحانه وتعالى، ولهذا حث الله نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) على العلم والسؤال والتبصر بالدين فقال له ﴿وقل ربِّ زدني علما﴾.

ومما ينبغي أن يُعلم أن قول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ ليس المقصود منه الاعتراض على الله، بل هو سؤال بحسب ما بلغه فهمهم، وليس قصدهم الاعتراض على الله، أو الحسد لبني آدم، وإنما هو سؤال استعلام لمعرفة الحكمة الإلٰهية من خلق آدم وجَعْلِهِ يعيش مع ذريته في الأرض.

والله سبحانه وتعالى لم يخبر الملائكة بتوقيت ذلك الاستخلاف، وإنما أخبر عن حصوله في المستقبل فحسب.

وللعلم فهذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي تتحدث عن استخلاف آدم في الأرض.

---

[١] سورة البقرة: ٣٠ .

١١.تعليم الله لآدم الأسماء كلها

قال الله تعالى بعد ذِكر الآيات المتقدمة المتعلقة باستخلاف آدم وذريته في الأرض: ﴿وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُون﴾.[١]

شرح الآيات:

بعد خلق آدم، وتبعا لتلك المحادثة بين الله والملائكة لمَّا أعلمهم باستخلاف آدم وذريته في الأرض؛ علَّم الله آدم أسماء الأشياء كلها، كأسماء الحيوانات وأنواع الطعام وغير ذلك، ثم عرض تلك المُسمَّيات على الملائكة، **ليظهر شرف آدم بكونه يعلم أشياء لا تعلمها الملائكة**، فقال الله لهم: أخبروني بأسماء هؤلاء الموجودات إن كنتم صادقين في أفضليتكم من آدم.

فعندها لم تعلم الملائكة الإجابة، فقالت: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم﴾، أي: نُـنَـزِّهك يا ربَّنا، ليس لنا علم إلا ما علَّمتنا إياه، إنك أنت وحدك العليم بشئون خلقك، الحكيم في تدبيرك.

فعندها قال الله لآدم: يا آدم أخبرهم بأسماء هذه الأشياء التي عجَزوا عن معرفتها، فلما أخبرهم آدم بها ظهر شرفه عليهم بأنْ عَـلِم ما لم يعلموه.

فعندها قال الله للملائكة: لقد أخبرتكم فيما سبق بأني أعلم ما خفي عنكم في السماوات والأرض، وهو الحكمة من خلق آدم وفضله، والآن تبين فضله عليكم بالعلم، فتبينت بهاتين الحادثتين الغرض منهما.

وللعلم فهذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي تتحدث عن تعليم آدم الأسماء، وتفضيله على الملائكة بعلم ما لم يعلموه.

١٢. قصة آدم لما أكل من الشجرة التي حرَّم الله عليه الأكل منها

نهى الله جلَّ ثناؤه أبانا آدم وزوجته أمنا حواء عن أكل ثمار شجرةٍ بعينها من أشجار الجنة، دون سائر أشجارها، فأغواهما الشيطان بالأكل منها، فأخطآ فأكلا منها، فإن البشر بطبيعتهم غير معصومين عن الوقوع في الخطأ، ثم تابا وطلبا من الله المغفرة فغفر الله لهما ذنبهما، لأن الله رحيم بعباده، يقبل توبة من أخطأ منهم ثم تاب، فإنه يعلم منهم طبيعة الخطأ لأنه خلقهم غير معصومين، فمحا الله عنهم ذنبهم، وانتهى الأمر بحمد الله.

---

[١] سورة البقرة: ٣١ – ٣٣ .

وقد جاء ذكر قصة أكلهما من الشجرة في مواضع من القرآن الكريم، قال الله تعالى ﴿وقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هذه الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِين * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلى حين * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾.[1]

كما جاء ذكر قصة أكل آدم وحواء من الشجرة في موضع آخر من القرآن في سورة الأعراف، قال تعالى ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هذه الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِين * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هذه الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِين * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِين * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِين * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُون﴾.[2]

كما جاء ذكر قصة آدم وأكله من الشجرة في موضع ثالث من القرآن في سورة طه، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىَ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدم فَسَجَدُواْ إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَىَ * فَقُلْنَا يا آدم إِنّ هَذَا عَدُوّ لّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنّكُمَا مِنَ الْجَنّةِ فَتَشْقَىَ * إِنّ لَكَ أَلاّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَىَ * وَأَنّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَىَ * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشّيْطَانُ قَالَ يا آدم هَلْ أَدُلّكَ عَلَىَ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاّ يَبْلَىَ * فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنّةِ وَعَصَىَ ادَمُ رَبّهُ فَغَوَىَ * ثُمّ اجْتَبَاهُ رَبّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾.[3]

شرح الآيات:

نهى الله جلَّ ثناؤه أبانا آدم وزوجته حواء عن أكل ثمار شجرةٍ مُعَيَّنَةٍ من أشجار الجنة، الله أعلم ما هي تلك الشجرة،، فإن الله لم يذكر اسم تلك الشجرة، وقد قيل إنها شجرة البُرْ، وقيل كانت شجرة العنب، وقيل إنها شجرة التين، وعلى كل حال فالعلم بنوع تلك الشجرة لا يترتب عليه عمل وفائدة، والجهل به لا يضر، ولو كان في العلم به خير لأخبر الله به.

---

[1] سورة البقرة: ٣٥ – ٣٩ .

[2] سورة الأعراف: ١٩ – ٢٥ .

[3] سورة طه: ١١٥ – ١٢٢ .

وقد حذَّر الله عبده آدم من إغواء الشيطان، وبين له أن الشيطان حريص على إغوائه ليوقعه في معصية الله، ليخرج بذلك من الجنة، ﴿فَقُلْنَا يا آدم إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، أي إنك إن استمعت إلى إغواء الشيطان فسيكون عقاب ذلك الخروج من الجنة، ثم تتعرض للشقاء، بالكدح والعمل في الأرض، بدلا أن تكون مُنَعَّما في الجنة، قال الله لآدم ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَىَ * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾، أي لك إن بقيت في الجنة أن تخلد فيها، لا تجوع، ولا تعرى من اللباس، بل تلبس لباس أهل الجنة من الحرير والديباج، وأنك لا يُصيبك العطش، ولا تضحى، أي لا يُصيبك الحر الشديد.

ولكن الشيطان حسد آدم على هذه النعمة، فأغواه وزوجته، ووسوس لهما وزيَّن لهما الأكل من الشجرة التي حرَّم الله عليهما الأكل منها، وأقسم لهما أنه ناصح لهما في مشورته عليهما، وهو كاذب في ذلك، ومما قاله لهما ليمكر بهما: إنما نهاكما ربكما عن الأكل من ثمار هذه الشجرة من أجل أن لا تكونا ملَكَين، ومن أجل أن لا تكونا خالدَين في الحياة، فانطلت عليهما خِدعة إبليس لعنه الله، فأكلا منها، فغضب الله عليهما، وقال لهما ألم أنهكما عن الأكل من تلك الشجرة، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مُبين، أي ظاهر العداوة؟

فنزع الله عنهما لباسهما، لباس أهل الجنة، عقوبة لهما على تلك الخطيئة، فراحا يغطيان عوراتهما بأوراق الجنة كما قال تعالى ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾، أي: فأخذا ينزعان من ورق أشجار الجنة ويلصقانه على أنفسهما ليسترا ما انكشف من عوراتهما.

فلما علِم آدم وحواء بأنهما أخطآ ندِما ندمًا عظيما، وقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا بالأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، أي مِمَّن أضاعوا حظَّهم في دنياهم وأُخراهم.

فاستغفرا الله، أي طلبا منه المغفرة وقبول التوبة، فألهمهما الله أن يقولا كلمات فيها دعاء وتذلل واستغفار، فقالاها، قال الله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾، والكلمات هي ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾، فلما قالاها تاب الله عليهما وغفر ذنبهما، كما قال تعالى ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾، لأن الله تعالى رحيم بعباده، يَقبل توبة من أقبل عليه طالبا المغفرة والعفو، كما قال تعالى عن نفسه ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾.

ثم بعد ذلك أهبط الله آدم وحواء من الجنة إلى هذه الأرض التي نعيش عليها، ليستقر آدم وذريته في الأرض إلى آخر الدنيا، ثم يبعثهم الله يوم القيامة ويحاسبهم، فمن اختار طريق الإيمان كان مصيره إلى الجنة، ومن أعرض عن الإيمان كان من أهل النار عياذا بالله، قال الله تعالى ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِين * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُون﴾.

١٣. من أعظم فوائد قصة أبينا آدم: التحذير من اتباع الشيطان

الشيطان عدو للإنسان كما تبين معنا، قال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١]، ولهذا أمر الله بالحذر منه، قال الله تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ **لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ** يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.[٢]

في هذه الآيات حذر الله تعالى بني آدم من أن يفتنهم الشيطان فيوقعهم بالمعاصي كما فعل بأبيهم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾، ومعنى يفتِنكم أي يزين لكم العصيان ويدعوكم إليه ويرغبكم فيه فتنقادون له، ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾، أي كما أنزلهما من المَحل العالي وهو الجنة إلى ما هو أدنى منه وهو الأرض، فأنتم أيها الناس يريد الشيطان أن يفعل بكم كذلك حتى يَفتِنكم عن الطريق الصحيح إن استطاع، فيُزيِّن لكم عدم اتباع النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، فتتخبطون في المعاصي وفي الآراء والتحريفات، فعليكم أن تجعلوا الحذر منه في بالكم، وأن لا تَغفُلوا عن المواضع التي يدخل منها إليكم، وتستقيموا على طاعة الله وعلى دين الإسلام، إِنَّهُ (أي الشيطان) يراقبكم على الدوام هُوَ وَقَبِيلُهُ، أي أتباعه من شياطين الجن مِمَّن هم من ذريته، فإن الشيطان له ذرية، كما قال الله تعالى عن إبليس ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ **وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ** مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[٣].

فالحاصل أن إبليس وجنوده وهم الشياطين يرون الناس من حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُمْ، لأن الجن لا يراهم الناس بمقتضى خلقتهم.

ثم قال الله ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾، أي: إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ وأصفياء ومُحِبِّين للكافرين الذين لَا يُؤْمِنُون، فعدم الإيمان الصحيح هو الموجب لعقد الوِلاية والصِّلة بين الإنسان والشيطان، كما قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾.

والحذر من الشيطان يكون باتباع ثلاثة خطوات:

الأول: الاستعاذة من الشيطان، قال الله تعالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ **فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ** إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].
والاستعاذة هي قول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، أي ألتجئ وأعتصم بالله من الشيطان الرجيم، والرجيم أي المرجوم، وهو المُبعد المطرود من الخيرات ومن رحمة الله.

---

[١] سورة يوسف: ٥ .

[٢] سورة الأعراف: ٢٧ .

[٣] سورة الكهف: ٥٠ .

[٤] سورة الأعراف: ٢٠٠ .

الثاني: الحذر من اتباع خطوات الشيطان، كما قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]، وخطوات الشيطان هي المعاصي على اختلاف أنواعها، سواء الشرك بالله أو البِدع أو ما دونها من المعاصي من الكبائر والصغائر، مثل السرقة والزنا وعقوق الوالدين وشرب الخمر ونحو ذلك.

الثالث: اتِّباع الأنبياء، وآخرهم محمد (صلى الله عليه وسلم)، فهو النبي الخاتمي، الذي أرسله الله بدين الإسلام، ناسخا لما تقدم من الشرائع، وخاتِما لها، قال الله تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[2].

١٤. من أعظم فوائد قصة أبينا آدم لما أكل من الشجرة:

إثبات بطلان عقيدة توارث الذنب الأصلي التي يعتقدها النصارى، ولنا معها عشر وقفات

١. أبونا آدم بشرٌ مثلنا، وأمنا حواء بشر مثلنا، والبشر من طبيعته الخطأ، فلما أخطآ وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها؛ استغفرا ربهما وتابا إلى الله فغفر الله لهما **وانتهى الموضوع**، ولم تبق الخطيئة في ذمتهما، فضلا عن انتقالها إلى ذريتهما عبر الأجيال والقرون كما يعتقده النصارى.

٢. ثم إن الناس الذي تناسلوا من ذريتهما إلى يوم القيامة ليس لهم ذنب أصلا في الأكل من الشجرة، فإنهم لم يأمروا أباهم بذلك ولم يشاركوه في الأكل، وبناء عليه لو أن الله سيؤاخذ البشر بذنب أبيهم **لكان ظالما** – حاشاه من ذلك –، لأنهم لم يتسببوا في ذلك الخطأ أصلا، فبأيِّ حقٍّ يتحملون شيئا لم يفعلوه، كيف وقد علمنا أن الله قد غفر لآدم وحواء ذنبهما فلم يبق لذلك الذنب وجود أصلا؟!

قال الله تعالى: يا عبادي **إني حرمت الظلم على نفسي** وجعلتُه بينكم مُحَرَّما فلا تظالموا.[3]

٣. تحميل الإنسان ذنب غيره يُعتبر من القبائح التي يترفَّع عنها البشر، فكيف يليق وصف رب البشر بذلك، فلو أن أحدا من الناس حَمَّل شخصا آخر على خطأ ارتكبه جـدُّه العاشر لاعتَبر ذلك سفها في العقل، لأن الأول لم يكن متسببا في خطأِ الجد، فكيف يُحمَّل تبعاته؟!

بل كيف وهو لم يكن موجودا على سطح الأرض لما ارتكب جده ذلك الخطأ؟!

---

[1] سورة الأنعام: ١٤٢ .

[2] سورة آل عمران: ٨٥ .

[3] رواه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

فإذا كانت مؤاخذة الإنسان بذنب غيره لا تليق بالمخلوق، فكيف يليق وصف الخالق بها وهو الله سبحانه وتعالى، الذي هو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين؟!

أم أننا نُحسِنُ وصفَ الله بأوصاف النقص ووصفَ أنفسنا بصفات الكمال؟!

إن مقتضى هذا الكلام أن البشر أحسن من الله، وهذا لا يقوله عاقل منصف، تعالى الله عن ذلك.

٤. لو كان الأطفال يولدون مُذنبين – كما تنص على هذا عقيدة توارث الخطيئة – لكان هذا مذكورا في كتب الأنبياء قبل المسيح، والواقع أنه غير مذكور في أي شريعة سماوية، والتوراة التي أنزِلت قبل المسيح لا يوجد فيها شيء من ذلك، فدل على ذلك على أن هذه العقيدة خرافية وليست حقيقية، بل هي مُدخلة في دين المسيح.
نعم، لو كانت تلك العقيدة واقعية فعلا لأرشد الأنبياء – ممن جاؤوا قبل عيسى – أقوامهم للتخلص من تلك الخطيئة، لأن الأنبياء مرسلون من عند الله، ووظيفتهم بيان طريق النجاة من النار لأقوامهم، وبيان طريق الوصول للجنة، أعني الأنبياء مثل موسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وغيرهم.

٥. ومن دلائل بطلان تلك العقيدة وبيان أنها أُدخِلت في شريعة عيسى الأصلية (وهي منها براء) هو السؤال الذي يطرح نفسه: ما حال الناس الذين ماتوا بعد آدم وقبل ولادة المسيح عيسى؟
مقتضى تلك العقيدة أنهم كلهم سيذهبون للجحيم لأنهم لم يتطهروا من ذلك الذنب المزعوم!
وكيف يتطهرون منها وهم وُلِدوا قبل مجيئه كمُخَـلِّص وحيد من الخطيئة المزعومة –كما يعتقدون؟!
هذه قمة المعاندة للعقل والمنطق.

٦. لو كانت عقيدة توارث الخطيئة تنص على أن عيسى **سيطلب من الله سبحانه وتعالى ويدعوه** لأن يغفر للناس ذنبهم الذي توارثوه (على افتراض صحة عقيدة توارث الخطيئة) لكان هذا التصرف مقبولا إلى حدٍّ ما، فإن دعاء الناس لبعضهم أمر مطلوب، فهذا يدعو الله أن يسامح هذا ويغفر له ذنوبه، وهذا يدعو الله أن يوفق هذا في الامتحان، وهذا يدعو الله أن يُدخِل ذاك الجنة، وهكذا، أما أن يقتل الإنسان نفسه ليغفر الله للناس فهذا تصرف لا علاقة له بالمغفرة، وما الذي يحبه الله في هذا التصرف؟!

٧. الأناجيل المتوافرة بيد النصارى تشهد بأن الإنسان يحاسب على عمله، سواء كان خيرا أو شرا، ولا يتعدَّى الذنب صاحب الذنب إلى غيره، لا أبناءه ولا غيرهم، فبناء عليه فذنب أبينا آدم لم ينتقل لأبنائه، فبطلت بذلك عقيدة توارث الخطيئة.
انظر تلك الأدلة الإنجيلية في كتاب:

٨. ثم لو افترضنا – **مجرد افتراض** – أن خطيئة أبينا آدم لم يغفرها الله، وأنـها انتقلت عبر الأجيال وتوارثها الناس، وأن على كل إنسان أن يطهر نفسه منها، ففي هذه الحالة يجب على كل فرد أن يتوب منها بنفسه، ولا يعتمد على الآخرين، سواء كان المسيح عيسى ابن مريم أو غيره، لأنها في عنقه وليست في عنق غيره، فإن الله شرع الأديان لكي يعمل الناس ويقوموا بالعلاقة المباشرة بينهم وبين خالقهم ورازقهم وهو الله، أما أن يعمل عنهم غيرهم بالنيابة عنهم فكيف تحصل العبودية منهم لله خالقهم ورازقهم؟

ولهذا فقد علَّمنا الله طلب المغفرة منه إذا نحن أذنبنا، ووعدنا بالمغفرة إن كنا صادقين في ذلك، كل هذا لتحقيق العبودية له سبحانه وتعالى، وليكون الاتصال بيننا وبينه مباشرا، ولم يطلب الله من نبيه عيسى إطلاقا قتل نفسه لتكفير خطايا الناس، فهذا الاعتقاد يتنافى مع صفات الله سبحانه وتعالى (الرحيم، الغفور، التواب).

قال الله تعالى في القرآن حاثًّا عباده على التوبة من الذنوب ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُون * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُون * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِين * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِين * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِين * بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِين * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِين * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون﴾.

وقال الله تعالى في وصف المؤمنين ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم **ومن يغفر الذنوب إلا الله** ولم يُصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار ونِعْم أجر العاملين﴾.

٩. أيها القارئ الكريم: قد بين الله في خمسة مواضع من كتابه (القرآن الكريم) أنه لا تزر وازرةٌ وزر أخرى، والوِزرُ هو الإثم، والمعنى لا تتحمل نفسٌ إثم نفس أخرى، بل كل إنسان يتحمل حسناته وسيئاته، فإذا كان يوم القيامة تجازى كل نفس بما كسبت، قال الله تعالى ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾، يعني كل إنسان مرتهن بعمله يوم القيامة، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، ولا يؤاخذ الله أحد بذنب غيره، وهذا مقتضى العدل والإنصاف.

[1] هذا الكتاب منشور في شبكة المعلومات بنفس العنوان.

فبهذه الأدلة التسعة يتبين لنا بطلان عقيدة توارث الذنب الذي ارتكبه أبونا آدم إلى جميع بنيه من عشرات القرون، تلك العقيدة الخرافية التي يعتقدها جماهير النصارى (المسيحيين) في طول العالم وعرضه، والتي تنص على أن جميع الخليقة تستحق العقوبة على ذنب أبينا آدم مع كون البشرية لم تباشره ولم تقع فيه، وهذا الظن لا يصح نسبته للبشر العاديين، فمن باب أولى لا تصح نسبته إلى الله الرحيم العادل، **لأن الله له صفات الكمال**.

كما لا تصح نسبة هذه العقيدة إلى شريعة عيسى ابن مريم التي جاء بها، فالإنجيل الذي جاء به عيسى ابن مريم وصفه الله بأن فيه هدى ونورا، وجاء لهداية أمة بني إسرائيل، فرسالة عيسى الأصلية هي للهداية والإرشاد، ولم تأتِ لتعذيب الناس، وتحميلهم ذنوب غيرهم.

١٠. ومن جهة أخرى فإن الحق الذي لا مرية فيه أن الله خلَّص نبيه العظيم المسيح عيسى ابن مريم من مؤامرة القتل، ولم يُصلب أصلا، بل رفعه الله إلى السماء في معجزة إلٰهية لم تحصل لنبي قبله، وحماه من القتل والصلب، فإن الله لما بعث عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، حسده اليهود على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات، فقد كان يُبرِئ الأكمه – وهو الذي وُلِد أعمى – فيمسح بيده عليه فيكون بصيرا، وكان يُبرِئ الأبرص ويُحيي الموتى بإذن الله، ويُصوِّر من الطين طائرا ثم يَنفخ فيه فيكون طائرا بإذن الله عزَّ وجل، يُشاهَد طيرانه، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها وأجراها على يديه، ومع هذا كذَّبه اليهود وخالفوه، وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حسدا من عند أنفسهم، حتى صار نبي الله عيسى عليه السلام لا يُساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام في البلدان، ثم لم يُقنعهم ذلك الخروج من بلدته، فسعوا إلى مَلِك دمشق في ذلك الزمان – وكان رجلا مشركا من عَبَدَةِ الكواكب، وقالوا له إن ببيت المقدس رجلا يفتِن الناس ويُضلهم ويُفسدهم على المَلِك، فغضِب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالمقدس أن يحتاط على هذا المذكور، أي يُحيط هو ورجاله ببيته، وأن يَصلبه ويضع الشوك على رأسه، ويكُفَّ أذاه عن الناس، فلما وصل الكتاب إلى والي بيت المقدس ذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام مع جماعة من أصحابه، اثني عشر أو ثلاثة عشر، وقيل: سبعة عشر نفرا، وكان ذلك في يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت فحاصروه، فلما أحسَّ المسيح عيسى ابن مريم بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم قال لأصحابه: أيكم يُلقَى عليه شبهي، وهو رفيقي في الجنة؟

أي: أيُّكُم يرضى بأن يجعله الله شبهي، ويفتديني من أذاهم، ويكون ثوابه أن يكون رفيقي في الجنة؟

فقام شاب منهم وانتدب نفسه لذلك، ولكن المسيح استصغر سِنَّهُ، فأعاد المسيح الطلب ثانية وثالثة، وفي كل مرة لا يقوم إلا ذلك الشاب، عازما على أن يفتدي المسيح بنفسه لئلا يصيب المسيح أذى، فلما رأى المسيح تصميم الشاب قال له: (أنت هو)، أي: ستكون أنت الشخص الذي يقوم بهذه المهمة، فألقَى الله عليه شبه

عيسى، حتى صار كأنه المسيح، وفُتحت نافذة من سقف البيت، وأخذَت عيسى عليه السلام سِنةٌ من النوم، أي إغفاءة، فرُفِع إلى السماء وهو كذلك، لم يصبه سوء، ولم يستطع اليهود أن يؤذوه ولا أن يلطخوه بشيء، كما قال الله تعالى: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني مُتوفِّيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا﴾، فقوله ﴿إني مُتوفِّيك﴾ أي مُتوفيك بالنوم، فأخذَتِ المسيح إغفاءة، وقوله ﴿ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا﴾ أي أنه رفعه قبل أن يتعرضوا له بقتل ولا صلب ولا غيره، فسبحان من بهر بقوته العقول.

فلما رُفِعَ إلى السماء خرج أولئك النفر أصحاب المسيح من البيت، فلما رأى أولئك المحيطين بالبيت ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، وأظهر اليهود أنهم سَعوا في صلبه وتبجَّحوا بذلك، وصدَّقهم طوائف من النصارى لجهلهم بحقيقة الأمر ما عدا من كان في البيت مع المسيح، فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم.

وهذا كله من امتحان الله لعباده، فله في ذلك الحكمة البالغة.

وقد أوضح الله الأمر وجلاه وبينه وأظهره في القرآن العظيم، الذي أنزله على رسوله الكريم، المؤيَّد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات، فقال تعالى – وهو أصدق القائلين، ورب العالمين، المطلع على السرائر والضمائر، الذي يعلم السر في السماوات والأرض، العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، قال ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّـهَ لهم﴾، أي: رأوا شبَهه فظنوه إياه، ثم قال ﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتِّباع الظن﴾، يعني بذلك من ادَّعى قتله من اليهود، ومن صدَّقهم من النصارى، ثم قال ﴿وما قتلوه يقينا﴾، أي: وما قتلوه متيقنين أنه عيسى، بل شاكين متوهمين.

ثم قال: ﴿بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾، أي أن الله عزيز، أي غالب، منيع الجناب، وقد تبينت هذه العزة والغلبة في هذه القصة العظيمة التي نجا الله فيها نبيه الكريم من الأذى والإهانة، ثم وصف نفسه بقوله ﴿حكيما﴾ أي أنه حكيم في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها، ويضع الأمور مواضعها، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، والسلطان العظيم، والأمر القديم.

فصل

وقد افترق النصارى بعد رفع المسيح إلى ثلاث طوائف وفرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء. وهؤلاء هم اليعقوبية، زعموا أن عيسى هو الله، تعالى الله عن ذلك.

وقالت فرقة: كان فينا (ابن الله) ما شاء، ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء هم النسطورية، تعالى الله عن أن يتخذ والدا.

وقالت فرقة: كان فينا (عبد الله ورسوله) ما شاء، ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء هم أتباع المسيح حقا، الذين لم ينحرفوا عن الاعتقاد الصحيح فيه، ولم يعظموه التعظيم الزائد عن الحد المسموح، ولم يصفوه بشيء من أوصاف الألوهية ولا الربوبية.

فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على الطائفة المستقيمة فقتلوها، فلم يزل الحق مطموسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام، ليبين للناس الاعتقاد الصحيح في المسيح عيسى ابن مريم.[1]

تنبيه: هذه المعجزة الإلٰهية التي حصلت للمسيح (تنجيته من القتل والصلب ثم رفعه إلى السماء) هي أعظم من معجزة حمله من أمٍّ بلا أب، فمن صدَّق بهذه فمن باب أولى أن يُصدَّق بهذه، ومن كان مُعظِّما للمسيح عيسى ابن مريم فلا ينبغي أن يستكثر حصول هذه المعجزات له، فإن الله يجعل المعجزات لمن شاء وكيف شاء ومتى شاء، سبحانه وتعالى.

فالحاصل أن النصارى أخطئوا في اعتقادهم بالمسيح عيسى ابن مريم خطأً عظيما، فالحق في وادٍ وهم في وادٍ آخر، فإن الله كرَّم نبيه عن الإهانة والذل، ورفعه إليه في السماء، وسينزل في آخر الزمان إلى الأرض قبل يوم القيامة، كما قال النَّبِيُّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم:

(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ، ويَفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجـدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها).

ثم قال راوي الحديث: وأقرئوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾.

قوله (فيَكسر الصليب) أَيْ يُبْطِل دِين النَّصْرَانِيَّة بِأَنْ يَكْسِر الصَّلِيب حَقِيقَةً، وَيُبْطِل مَا تَزْعُمهُ النَّصَارَى مِنْ تَعْظِيمه.

قوله (ويضع الجزية) أي لا يقبلها من أحد من اليهود أو النصارى، مِمَّن يدفعها إلى المسلمين مقابل استمتاعه بالبقاء تحت حكم المسلمين، بل لا يقبل المسيح إلا الدخول في دين الإسلام لأنه هو نفسه سيدخل دين الإسلام إذا نزل.

قوله (ويَفيض المال) أي يكثر في زمن نزول عيسى ابن مريم، وَسَبَب كَثْرَته نُزُول الْبَرَكَات وَتَوَالِي الْخَيْرَات بِسَبَبِ الْعَدْل وَعَدَم الظُّلْم.

---

[1] انظر «تفسير القرآن العظيم» لعماد الدين ابن كثير، و «تفسير ابن أبي حاتم»، عند تفسير قوله تعالى ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ...﴾، سورة النساء: ١٥٧ – ١٥٨ .

قَوْله: (**حَتَّى تَكُون السَّجْدَة الْوَاحِدَة خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**)، أَيْ إن الناس حينئذ يَرْغَبُونَ عَنْ الدُّنْيَا ويُعرِضون عنها حَتَّى تَكُون السَّجْدَة الْوَاحِدَة لربهم أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لعلمهم بقرب قيام الساعة، وذهاب زمن العمل الصالح.

وفي هذا إشارة أيضا إِلَى صَلَاح النَّاس وَشِدَّة إِيمَانهمْ وَإِقْبَالهمْ عَلَى الْخَيْر , فَهُمْ لِذَلِكَ يُؤْثِرُونَ الرَّكْعَة الْوَاحِدَة عَلَى جَمِيع الدُّنْيَا.

ثم قال الله تعالى ﴿وإنْ من أهل الكتاب إلا لَيؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾.

أي: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار،

وحينئذ يعلم كل عابد لعيسى أنه كان مخطئا، وأن اتخاذه ربا إلها ليس من دين عيسى ولا محمد ولا موسى ولا أي واحد من الأنبياء، ويندم حين لا ينفع الندم.

أيها القارئ والقارئة المنصفين العادلين:

بعد قراءتكما لهذه القصة، من الأحق بتعظيم المسيح: المسلمين، أم النصارى واليهود؟

تنبيهات عامة

- مما ينبغي علمه أن أصل هذه العقيدة الخرافية الباطلة – عقيدة الفداء – هو إدخال بولس لهذه العقيدة في دين المسيح عيسى ابن مريم ثم عبث القساوسة في دين المسيح على مدى قرون متطاولة بعد رفع المسيح، والكلام في هذا يطول، وأُحيل القارئ الكريم إلى بحثٍ يثبت ذلك من المصادر الإنجيلية الكنائسية وعنوانه: «التغير التدريجي في رسالة عيسى ابن مريم الصحيحة على مدى عشرين قرنا».[1]

- إن الإنجيل الأصلي «الكتاب المقدس» الذي كان بيد المسيح عيسى ابن مريم والحواريين لم يُحفظ، وليس له وجود بعد رفع المسيح، وقد حَلَّ مكانه أربعة أناجيل كتبها أربعة أشخاص (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، وملحقٌ معها ثلاثة وعشرون رسالة، كلها قد أُلِّفت بعد رفع المسيح، فيكون المجموع سبعة وعشرين سفرا، وقد بدأ تدوين الأناجيل الأربعة من سنة ٣٧ م إلى سنة ١١٠م، وهؤلاء الأربعة لم يثبت أن التقوا بالمسيح ولو للحظة واحدة، بل كتبوها بعد رفعه إلى السماء، وبينها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير.
وإذا أُضيفت أسفار العهد القديم الستة وأربعين (المكونة من التوراة وغيرها) إلى أسفار العهد الجديد (الإنجيل) السبعة وعشرين صار مجموع الأسفار ثلاثة وسبعين، يؤمن البروتستانت بستة وستين منها، ولا يؤمنون بالبقية، بينما يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك بها كلها.

يضاف إلى ذلك أن هذه الأناجيل الأربعة يتم تحديثها بشكل مستمر مِن قِبَل متخصصين في الأناجيل، ويكتشف هؤلاء المتخصصون – بحسب قولهم – أن هناك عبارات مقحمة في النص الأصلي منها، فيُخرجون نسخة جديدة من الأناجيل revision يقولون إنها منقحة من تلك العبارات التي اكتشفوا أنها مقحمة في النص، فبناء على هذا فلا يستطيع باحث أو عالم منصف أن يقول إن الأناجيل الأربعة محفوظة كما هي كما كتبها مؤلفوها، فضلا عن أن يقولوا إنها – أو واحد منها – تُمَثِّل النص الأصلي للإنجيل الذي كان بيد المسيح والحواريين.

فبناء على هذا فإن الرجوع إلى هذه الكتب التي تسمى أناجيل والاعتماد عليها لمعرفة رسالة المسيح عيسى ابن مريم الأصلية خطأ فادح، لأنه رجوع إلى كلام البشر الذي يعتريه الصواب والخطأ، فهي مثل كتب التاريخ ونحوها، وليس رجوعا إلى كتاب الله المقدس ((الإنجيل الأصلي)) الذي أنزله الله على المسيح عيسى ابن مريم، ولو أن هذه الأناجيل التي يتداولها النصارى ((المسيحيون)) هي فِعلاً الإنجيل الأصلي لَمَا تعددت ولَمَا

[1] هو منشور في شبكة المعلومات بنفس العنوان.

تناقضت فيما بينها، لأنه من المعلوم قطعا أن الإنجيل الذي كان بيد المسيح إنما هو كتاب واحد، وكذلك الأمر يقال بالنسبة للتوراة.

وهذا الشيء يعرفه القساوسة في داخل نفوسهم، ولكنهم مع الأسف لا يقبلون أن يناقشهم فيه أحد من الناس «الرعية» مناقشة عقلية لأنهم يعجزون عن إجابته، ولأنه إذا انكشف فإنه سيهدم كيانهم من الأساس، فلهذا يلجئون إلى التحايل على عقول الناس بالترغيب والترهيب، فتارة يقولون للرعية إنهم ليس لهم حق في السؤال، وإذا حصل إلحاح من السائل ورأوا فيه الجرأة والشجاعة استعملوا معه أسلوب الإرهاب، فيهددونه بالقتل، ويسجنونه في الكنيسة، ويضربوه ضربا مبرحا من قِبَل أُناس مخصصين لهذه المهمة (الشريفة)، وإذا كان السائل امرأة أخذوها عندهم واغتصبوها واستمتعوا بجسدها، وضربوها ضربا عنيفا، فالخط الأحمر عند رجال الكنيسة هو العلم والفهم والسؤال والاقتناع، والخط الأخضر عندهم هو الانقياد والتبعية والتقليد الأعمى، ومن خالف ذلك شبرا فسيعرف مصيره بين عصابات الكنيسة المخصصين لهذه المهمة.

ومع هذا فقد انتبه لهذا الكيد الكنائسي بعض من عنده أنفة وثقافة ووفور عقل، فمَـحَّـصَ كلامهم بنفسه، وسأل عن الدين الحق، وقارن بين هذا وهذا، ووصل إلى النتيجة بنفسه، ثم تبين له الدين الصحيح من الدين الخطأ، لأن الإنسان إذا كان صادقا بينه وبين ربه (الله) فإن الله لن يتركه حائرا، بل سَيَـدُلُّـهُ إلى الدين الحقيقي، لأن الله رحيم بعباده، يفرح بإقبال عبده إليه.

- وبمجموع ما تقدم تبين لنا كيف صحَّحَ دين الإسلام هذا المفهوم، مفهوم خطيئة أبينا آدم وأمنا حواء، وما تبعه من عقيدة الصلب والفداء، بعد أن تخبط الناس في ذلك دهورا تقارب الستة قرون، منذ رُفِع المسيح إلى نزول القرآن، وأصل ذلك التخبط عدم حفظ رهبان النصارى للإنجيل الذي كان بيد المسيح، وكتابة أناجيل من عند أنفسهم، وهي إنجيل متى ويوحنا ومرقص ولوقا، ثم قالوا هذا كلام الله.

فتغير دين المسيح ابن مريم تغيرا عظيما، فبدلا من عبادة الله وحده صاروا يعبدون عيسى ابن مريم وأمه، فتحول دين المسيح من تقرير التوحيد إلى تقرير التثليث.

وبدلا من اعتقادهم بأن عيسى ابن مريم كان بشرا رسولا، صاروا يعتقدون أنه هو الله، وأناس يعتقدون أنه ابن الله، وأناس يعتقدون أنه ثالث ثلاثة، وينفون عنه أنه بشر رسول، أرسله الله إلى بني إسرائيل.

فالإسلام جاء ليبين الحقيقة للناس كلهم، لأنه الدين الخاتم والنهائي، ولأنه الدين المحفوظ بأمر الله الكوني من التلاعب والتحريف، فبين أن تلك الخطيئة قد غفرها الله لآدم بعد حصولها منه مباشرة، فلم يعُد لها وجود.

فالإسلام جعل المسألة واضحة كالشمس، ليس فيها غموض ولا أسرار، لأنه دين الله الذي أنزله الله على البشر، والله لم يجعل على الناس أغلال وتشديد وغموض، وإنما يتصف الدين بالتشديد إذا خالطته تحريفات البشر، ومن ذلك عقيدة الصلب والفداء وربوبية عيسى ابن مريم.

وقد نسخ الله جميع الأديان بدين الإسلام، فلم يبق دين صحيح مُوصل إلى رضوان الله إلا هو، وجميع الأديان قد حلَّ دين الإسلام محلها، وحفظ الله دستوره وهو القرآن من الضياع، فيجب على الناس كلهم الدخول فيه، فبالإسلام – وبالإسلام فقط – يؤمن الإنسان بجميع الأنبياء قبل محمد، وهم المسيح عيسى ابن مريم، وموسى وإبراهيم وغيرهم، ولهذا قال الله تعالى عن المؤمنين ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غق=فرانك ربنا وإليك المصير﴾.

- فالحاصل أن عقيدة الذنب الأصلي وعقيدة الفداء عقيدتان وهميتان خرافيتان، ليس لهما وجود في رسالة عيسى ابن مريم الأصلية، بل هي من التحريف الذي دخل على دين عيسى ابن مريم على مر القرون، ودور اليهود معروف في عداوة الأنبياء، فقد بين الله في القرآن أنهم قتلوا كثيرا من أنبياء بني إسرائيل، وهمُّوا بقتل المسيح فحماه الله، وفي نهاية المطاف أرادوا قتل النبي محمدا (صلى الله عليه وسلم)، وذلك أن امرأة يهودية وضعت سُمًّا في شاة مشوية، وأهدتها للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فأكل منها، فأثَّر هذا السُّم فيه، فمات بعد مُدة.
- ومن باب الفائدة، فقد يسر الله لي إعداد بحث مختصر في إثبات بطلان عقيدة توارث الخطيئة وعقيدة صلب المسيح، وبينتُ فيه بطلان هذه العقيدة بدلالة التوراة والأناجيل والعقل والتاريخ والقرآن، وهو منشور في شبكة المعلومات باسم:

أربعون دليلا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وعقيدة صلب المسيح

١٥. خاتمة

تم البحث بحمد الله، وقد تم فيه توضيح قصة ابتداء خلق أبينا آدم، ثم خلق أمَّنا حواء، ثم ذِكْر قصة تكريم الله لآدم بالعلم، ثم قصة تشريف الله له بأمر الملائكة للسجود له سجود تحية، ثم ذكر قصة أبينا آدم لما ارتكب الخطيئة وأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، ثم قصة توبته من تلك الخطيئة وكيف أن الله تاب عليه وسامحه وعفا عنه وغفر له ذلك الذنب ومحاه فلم يعد له وجود، ثم بيان قصة استخلاف آدم في الأرض، بعمارة بَنِيه لها جيلا بعد جيل إلى يوم القيامة.

ثم بعد بيان الحق يسَّر الله بيان ضده، فتكلمتُ بما يسَّر الله على الاعتقاد الخاطئ المتعلق بمسألة خطيئة أبينا آدم، والجواب عنها من وجوه كثيرة.

تم الكتاب بحمد الله، وصلى الله وبارك على سيدنا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

ماجد بن سليمان

مساء السبت، الثاني من شهر شعبان لعام ١٤٣٥ هجري، الموافق ٣١ مايو، ٢٠١٤ ميلادي.

وتمت مراجعته وتعديله يوم الإثنين الخامس والعشرين من شهر شعبان لعام ١٤٣٨ هجري، الموافق ٢٢ مايو، ٢٠١٧ ميلادي.

majed.alrassi@gmail.com

هاتف: 00966505906761

مراجع علمية لمن أراد الاستزادة والفائدة – وهي منشورة في موقع «الدين الواضح»

www.saaid.net/The-clear-religion

١. الكتاب المقدس – القرآن

٢. تعريف موجز بالكتاب المقدس – القرآن

٣. لماذا خلقنا الله؟

٤. المكانة العظيمة لمريم العذراء وابنها النبي العظيم المسيح عيسى ابن مريم في دين الإسلام

٥. قصة المسيح من المهد إلى اللحد

٦. قصة رفع النبي العظيم المسيح عيسى ابن مريم إلى السماء وتَـنجِـيته من الأذى

٧. هل المسيح رب؟ – «ثلاثون وقفة علمية ومنطقية، للمثقفين والمثقفات فقط»

٨. أربعون دليلا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وصلب المسيح – «أربعون وقفة علمية ومنطقية، للمثقفين والمثقفات فقط»

٩. التغييرات والتطورات التدريجية التي حدثت لرسالة يسوع بعد رفعه على مدى عدة قرون

١٠. الدلائل على تحريف دين اليسوع بعد رفعه إلى السماء

١١. مهلا أيتها الدكتورة .... لا تسبي الإسلام

١٢. حوار علمي هادئ مع القساوسة

١٣. موقف الإسلام من الإرهاب

١٤. Who Deserves to be Worshipped

١٥. The Amazing Prophecies of Muhammad in the Bible